هذا كتابي الصامت وليت لي كتاباً ناطقاً بين افراد الناس بل ليت لافراد الناس كتاباً صامتاً مثل كتابي

وان شئتَ زيادةً في تعريفهِ قلت : هو كتاب البشريّة جمعاء ، كتاب كل الازمنة وكلّ الامكنة ، ولا حاجة الى اضافةٍ في نعتهِ لانهُ وحدهُ هو « الكتاب » وبهِ دعاهُ الغرب (La Bible) او قل «الكتاب المقدّس»

الكشّافة

نظر تاريخي اجتماعي لحضرة القس بطرس عازار الراهب اللبناني.

توطئة

لا اجمل من ان نرى ابناء هذا الوطن المحبوب يرغبون في الاقتداء بما في التمدُّن العصري الاوروبي من حسَن ومفيد مُعرضين عمَّا هنالك من المضارّ الوبيلة القاضية على حياتنا الاقتصادية والادبية

يسرّنا وأيمُ الحقّ ان نجد نُخبةً من ناشئتنا المحبوبة تربّي فيها شاعرة الوطنيّة الحقّة وتعيد لنا بمبادئها الحسنة واخلاقها الطيبة ذكر اولئك الابطال الذين تفانوا في حبّ وطنهم وصانوا وديعة ايمانهم وحرمة آدابهم . عنَيتُ بهم تلك الفئة التي شابهت النحلة التي لا تقع الّا على الزهر لتجني منه العسل فتتقي من هذا التمدُّن ما هو صالح ومفيد وتعرض عن كل ما هو موبئ مضرّ ملازمةً خطّةَ الاعتدال في كل شيء

على هذه الخطة تسير فئات منتخبة من الشبان والفتيان في اكثر الممالك متَّن تمسَّكوا باشرف المبادئ واقومها يُدعَون بالكشّافة يقتصّ اليوم آثارهم فئةٌ من شبابنا وفتياننا النجباء الذين بهم بدأت تباشير الكشّافة تظهر في هذه البلاد فانّها

وان تكن بعدُ في مهدها فهي بما فيها من روح وطنية وغاية شريفة لخير النفس والجسد ونفع الفرد والأُمّة تُبشر بحسن المستقبل وتبعث ما فينا من ميت الامل . هذا اذا فقهتَ غاية وضعها ورُوعِيَتْ فيها القوانين والشروط الضامنة نجاحها وخير البلاد التي تنشأ هي فيه

فعلى هذا الامل وخشيةَ ان نلهو بالقشور عن اللبّ اذ نحن مولعون بكل جديد نقول كلمةً موجزة في اصل الكشّافة وتعريفها اولًا . وفي غايتها ومنافعها ثانياً . وفي أفضليّة الكشافة الكاثوليكية على سواها ثالثاً

١ً اصل الكشّافة وحدُّها

الكشافة بصيغة المبالغة رائدُ الجيش او طليعتهُ وهي تعريب الكلمة الافرنسيّة (Eclaireur) واللفظة الوضعية القديمة سكوت (Scout) ومنها السكوتسم (Scoutisme) من الفعل (Escouter) او (Ecouter) اي أصغى وترصّد كأن الكشافة من شأنه ان يكون متحفزاً ومُصغياً لكل ما يقال لهُ وما يؤمر به وبهذا المعنى تكون طريقة الكشافة قديمة العهد ترتقي الى الاجيال الوسطى وتطلق على الفرسان الموقوفين على خدمة بلادهم والمتفانين غيرةً في خير وطنهم فهم حُماتهُ وطلائعهُ . ولفظ سكوت اي الكشافة نُقل الى الانكليزية واصبح أصيلاً فيها وكان الانكليز هم السابقين الى بَعْث هذه الفكرة من مدفن الاعصر الخوالي ووضعها بالعمل بصورتها الحالية ويسمّون العضوَ فيها بُوي سكوت(Boy-Scout) . على ان فكرة السكوتسم الكشافة هي كما قلنا فكرةٌ قديمة من ميزات الديانة المسيحية وهي بالاخص كاثوليكية في اصلها القديم فحقٌ لابناء الكنيسة في هذا الجيل ان يكونوا السابقين اليها والمتفوّقين فيها اذ ان غايتها ومبادئها تُطابق المطابقة التامّة تعاليم الكنيسة . وروحُها روحُ المحبة والفداوة . وقد انتشرت في السكونة كلها فهي تضمّ اليوم تحت لوائها فوق المليونين من الشبان والفتيان على اختلاف النِحَل والمذاهب من كل كريم النفس ذكي الفؤاد حزوم شجاع

اما الفضل في ايقاظ تلك الفكرة المسيحية الشريفة من رقادها في هذا العصر فعائد الى السير بادين پويل (Baden-Powell) الانكليزي فان هذا الباسل على

اثر رجوعه من حرب البرنسثال حوالي سنة ١٩٠٨ انّف جماعة البوي سكوت من ٢٥ عضواً . فلا يكون للكشافة بهيئتها الحاضرة في عالم الوجود اكثر من خمس عشرة سنة بعد نشأتها في انكلترّة . وكانت غاية منشئها تمرينَ المنخرطين في سلكهـا وشَحذ قواهم المادّيّة والعقلية لكي يستقبلوا جميع طوارئ الايام وحدثانها بالبأس والشدة وان يروّض اخلاقهم بتربية تُنظم قواهم الادبيّة اذ تجعلها قيد الضمير والشرف

ولمّا خبَرَ العارفون ما في هذه الطريقة من جليل الفوائد سعوا في نشرها وتعزيزها بين اظهرُ مواطنيهم فهي تكاد تكون شاملة اعظم الدول كفرنسة وانكلترة واميركة والمانية وايطالية وبلجيكة وغيرها . وقد حدّها القائد الافرنسي مودهوي (Maud-huy) المشهور بعلم الاخلاق والتدريب على طرق الحياة قال :

« ليست الكشافة بجماعة مصارعين فانه وان كان فيهـا جَريٌ وركضٌ وقفز وملاكمة وحركة او غارين عسكرية فليست غايتها المصارعة ولا هي مدرسة اعدادية حربيّة بل هي قبل كل شيء طريقة تهذيبيّة عمليّة ممتازة لوحدها يتعلمها الانسان ليتدبّر في الحياة ويعمل بروح التفـاني على تدبير غيره ومساعدته »

فهذا التدبير الذي يستلزم مرونةً في الجسم وحذاقـة في العقل يوجب في الوقت نفسه ان تتوفّر لجماعـة الكشافين جميع وسائل الحيـاة بحيث يكون منهم اناس اختصاصيّون عارفون ببعض الصناعات والمهن اللازمة للمعيشة كالتمريض والتطبيب والتصوير والنجارة والخياطة والطبخ الى غير ذلك من الصناعات والمعارف الضامنـة حياة الانسان وارتقاءهُ في المجتمع الانسانيّ

٢ غاية الكشّافة وفوائدها

ان سنّة الارتقـاء من طبع الكائنات بوجه العموم بها تُقبل الى غاية كالهـا ببقاء الأصلح منها متوالدةً حيًّا عن حي . على ان الانسان العاقل النازع الى الكمال احقُّ ان يتسنّى على تلك السنة الطبيعية فيبحث في كل ما حواليه ويميز في الاشخاص والاشياء غثّها من سمينها وأصلحها واثبتها من فاسدها وداثرها فيعزل كلّ ما هو فاسد ناقص ويحتفظ بما هو صالح كامل . هذه السنة معمول بها في النظامين الادبي والمادّي نافذة الحكم في الجماعات كما ان حكمهـا نافذ في الافراد . ولـذلك فالأمة التي تضطرب شؤونها وتهوي الى الانحطاط والدمار لايستقيم لها حال ولا تستطيع الحفاظ

على كيانها الّا بمساعدة نخبة من المصلحين المهذّبين تعتمدهم في تدبير شؤونها وتقويم اعوجاجها . على هذه الخطة يسير حكماء الناس وعقلاؤهم في كل أمة احتاجت الى الاصلاح وطلبت الارتقاء . وهذه غاية واضعي اساس الكشافة في انتقائهم نخبة من الفتيان ليعلّموهم الحكم على اجسادهم ونفوسهم حتى اذا تمكنوا من ان يحكموا ذواتهم كانوا صالحين لخدمة وطنهم ونفع بلادهم وترقية الشعوب الذين يعيشون بين أظهرهم

وهذه الغاية اي السيادة على النفس والجسم يبلغها الكشافة بواسطتين هما من اقوى الوسائل واصلحها اردتْ بهما الرياضة البدنيّة والرياضة النفسيّة فانهما من أمسّ ما يحتاج اليه المرء في معترك هذه الحياة اذ هو مركب من الروح والمادّة

﴿ الرياضة البدنيّة ﴾ فالرياضة البدنيّة وقوامها الحركة وتشغيل عضلات الجسم بتكرار الافعال والتمارين اليوميّة لا أفيدَ منها ولاسيما لمن كانت حالتهم او مهنتهم تقضي عليهم بالجلوس الطويل كالدارس والكاتب والصائغ والحائك والخيّاط وامثالهم وقد حبّذ الطب اهميتها وعظم فوائدها فجعلها من القوانين الصحيّة وكثيراً ما وصفها دواء شافياً من بعض الادوية التي استعصى شفاؤها بالعقاقير . قال بعضهم : افتح ندوةً للالعاب تستغن عن مستشفى . وقال الحكيم ابن سينا : ان تارك الرياضة كثيراً ما يقع في الدقّ اي السلّ

لقد احكم اذن واضعو قانون الكشّافة بجعلهم الرياضة شرطاً لازماً لها وقد عرفوا ان للعمل والحركة ضمن حدود الاعتدال ما عدا المنافع الاقتصادية فوائدَ جمّة لا يستغني عنها عضو الكشافة ليكون رجلاً نشيطاً قوياً صبوراً على نوائب الحياة ومشاقها لان بالعمل والرياضة القوّة والنشاط وصيانة الآداب والاخلاق . وما البطالة سوى بيئة الرذيلة وما الرذيلة الّا آفة الصحّة . واذا اخذنا الرياضة باتّساع معناها من دون ان نحصرها بقانون بعض التمارين المنظّمة تناولتْ جميع الاعمال اليدوية وبعض الصناعات المستلزمة حركة البدن كلّه مثل الزراعة والبناء والحدادة وغيرها وضمّت ايضاً بعض العادات اللبنانيّة القديمة كدقّ الاجراس ورفع الاثقال (القبات) ولعب الجريد او السباق والفروسة ولعب « الفشخة وقزة » وغيرها من الالعاب المفيدة اذا لزمت حدّ الاعتدال

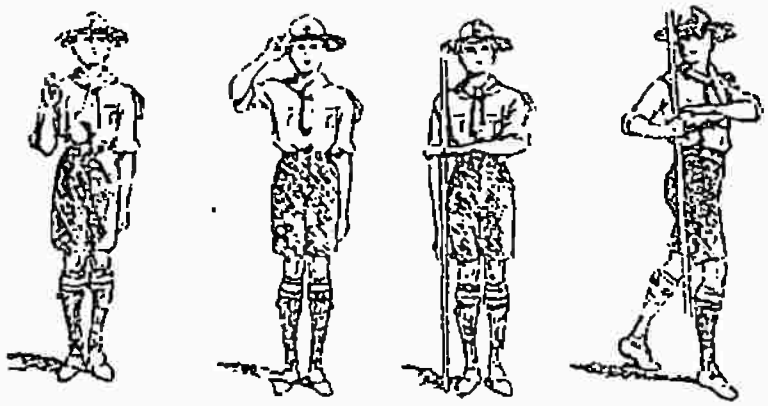

صورة بعض اعضاء الكشافة في تمارينهم

فبفضل هذه الرياضة يكون الكشّافة بمأمن من امراض كثيرة ويزداد نشاطاً وقوّة وعزماً اذ يصبح الجسم اقلّ قبولاً للاوبئة واشدّ مقاومةً لها . كما بيّن ذلك في الفصل الحادي عشر من كتابه علم الصحّة النطاسيّ الفاضل الشيخ امين الجميّل فانه بما فيه من مقدرة علميّة وغيرة وطنيّة وروح طيبة يفضل بالاسهاب انواع الرياضة ويذكر شروطها ومنافعها ومضارّ تركها

على ان غاية الكشّافة من الرياضة انما هي احكام العمل واتقانهُ وصيرورتهُ ملكةً صالحة تُقبل صاحبها الى مباشرة اجلّ الخدم وتقويه على اقتحام المخاطر من دون تكلّف ولا صعوبة لاجل القيام بالواجب فيكون الشغل والعمل اليفهُ وخدينهُ كيفما اتّجه شعارُهُ « كن مستعدًّا »

﴿ رياضة النفس ﴾ وليس يكتفي قانون الكشّافة بالرياضة البدنيّة وحدها مقتصرًا على بعض التمارين والالعاب فهذه وان تكن من مميزاته ولها فوائدها كما قدّمنا فلا تقوم مع ذلك بالغاية الاولية المقصودة التي هي حسن السلوك والتدبير وتقويم الافعال بمطابقتها لقاعدة الآداب . فليس لتلك التمارين على لزومها ومنافعها الجمة من تأثير على هذه القاعدة اذ لا علاقة لها بالخير والشرّ بل هي مجرّدة عنها فتكون الغاية الاولى للكشّافة كما قلنا ترويض قوى النفس الداخلية بتهذيب الارادة

والاخلاق . وأما رأى مفتش طريقة الكشافة ان الوسيلة الاولى اي الرياضة البدنية قاصرة وحدها عن ذلك الغرض المهم وعرفوا ان مثل تلك الالعاب والحركات تشغل الافكار بما فيها من رونق ولذة عن الغاية التي يقصدونها فيدورها بالرياضة النفسية التي هي اهم وانفع

فكما ان رياضة البدن تقوي العضلات وتنشط الجسم وتجلب الصحة كذلك رياضة النفس فانها تثقف العقل وتهذب الارادة وتقوم اميال القلب وبذلك يتم ترقي الفرد وبه الجماعات والشعوب . فيكون مقياس ارتقاء الشعوب بمقياس ترويض اخلاقهم وتهذيبهم . والانسان كما يقال بأصغريه قلبه ولسانه كذلك الأمم باخلاقها . فان فسدت فيها الاخلاق سقطت من سلم التمدن الحقيقي الى دركات الهمجية كما قال الشاعر :

وانما الامم الاخلاق ان بقيت وان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وهذا يؤكده الاختبار في كل جيل . فلا بد اذن من ان تقرن الرياضة البدنية بترويض قوى النفس فيروض العقل بالبحث والدرس فيأتي من الاكتشافات بالمعجزات وا ب مما يدل على انه نسمة من حكمة الله وتروض الارادة بتمرينها على الفضائل الادبية والمسيحية من صبر وقناعة ووداعة وطهارة . وترويض القلب يكون بتعديل عواطفه وتجم اميالهِ بحكمة العقل والدين ويجعل اساس هذه الرياضة معرفة الخالق مصدر كل علم ونور واصل سعادة الانسان

ومثل هذه الرياضة تضمن طهارة الافكار والعواطف وتجلب طمأنينة الضمير وهما لازمتان للنفس والجسم لزوم نظافة الهواء والماء للحياة . ومتى تروضت الاخلاق وتهذبت الطباع كان الانسان سعيداً رغيداً نافعاً لنفسه ولابناء جنسه . الى هذه ترمي جماعة الكشافة بما في قلب شبيبتها من نخوة وحمية كما يتبين لك من هذه الوصايا العشر بهذا الجدول :

١ ان الكشافة يعدُّ استحقاقه ثقة الناس شرفاً وسيماً
٢ يبرُّ بلاده وبوالديه وبرؤسائه ومرؤوسيه
٣ مهنة الكشافة ان يخدم القريب ويخلصهُ
٤ الكشافة صديق الجميع واخ لكل كشافة

معرض الكشّافة في باريس

مسير الكشّافة الى منازلها

٥ الكشافة انيسٌ شجاع
٦ الكشافة يتمثل الله في الطبيعة فيحبّ المزروعات والماشية
٧ الكشافة يطيع بلا تردُّد ولا يدع عملاً ناقصاً
٨ الكشافة رضيُّ الاخلاق مالك نفسه
٩ الكشافة مقتصدٌ ومعتنٍ بغير قريبه
١٠ الكشافة طاهر الافكار والاقوال والاعمال

ففي نقدنا هذه الوصايا ترى انها ضامنة سعادة الفرد والمجتمع وان لا حرج منّا ومن كل عاقل الى حفظها ووضعها بالعمل. على انها ليست بالشيء الجديد فإنْ هي الّا صورة منقولة عمّا تتضمّنهُ وصايا الله العشر من واجبات الانسان نحو ربّهِ ونفسهِ وقريبهِ فهي من هذا الوجه مَلزمة كل عاقل حكيم ووطني غيور. فبحسب هذه الوصايا يكون الكشافة شهماً كريماً صادقاً مخلصاً طاهر الذيل خدوماً عاملاً باسلاً وديعاً مطيعاً مقتصداً قريباً ومحبوباً من الله. وقد أُطلقت الكشافة على كل جماعة خيرية تتفانى في خدمة الانسانية وراندها الدين والوطن وقد لُقّب بها الصليبيُّون قديماً وفرسان القديس يوحنا. كما انهُ يمكننا اطلاق لفظ الكشافة من حيث غايتها الاصليّة الاولية على كل جماعة رهبانيّة عاملة على مجد الله وخير القريب

الكشافة والدين

ومن هنا تبيّن ان الكشافة لازمة الدين لا تنفكُّ عنهُ ولا يكون لها قيام وثبات من دونهِ وكيف يمكنها ان تقوم بلا دين وهي تتوخّى الفضيلة وعمل الخير بطريق الاخلاص والتفاني. وهذا يستلزم الكفران بالذات وبالمصلحة الشخصية في سبيل الخير العام. أجل ان التقيُّد بالوصايا التي ذكرناها لمّا يساعد على ذلك لكنهُ لا يكفل النجاح والثبات فان منها ما يلجم اميال الطبيعة ومنها ما يجذبها ويتملقها فتكون بذاتها قاصرة عن الزام الارادة وعن ان تقبل بها الى الغرض المطلوب فالوصيتان الثالثة والرابعة وموضوعهما الخدمة والمحبة المخلصة تحملان الكشافة على ان لا يدع يوماً يمرُّ دون عارفة يأتيها من باب المحبة المجرّدة. غير ان عمل الخير لا يكون مضموناً ومطّرداً ما لم تكن في الكشافة ملكة بها يكون ضابطاً نفسه وسائداً على اميالهِ. ولذلك وجب ان يكون مقترحاً امامه كتاب الضمير والشرف يقرأ فيهِ لزوم

سلامة الاداب وتهذيب الاخلاق وهذا ما تضمنه لبُّ الوصايا الاربع الاخيرة من السابعة الى العاشرة ضمناً . وموضوعها الطاعة والتسلط على النفس والاقتصاد والطهارة

لكننا لسنا نتأكد هذه الضمانة اذا لم تستند الى دعامة دينية وهذا ما يستلزمهُ مبدأ الكشافة كما يُستدل من هذه الابيات للشاعر الانكليزي ليلي بورن (Lily Burn) وقد نُقشت على صفيحة بعنوان « كشافة الطريق » وهي تمثل المسيح ويداهُ الى كتف كشافةٍ يناديهِ ويهمُّ بتسديد خطواتهِ في جادَّة الحياة وهذا تعريبها بالحرف . « مهلًا بُنيَّ وارفع عينيك الى العلاء واستند اليَّ لترى طريقك ابسطْ يدك يا بني لتعرف هذه الطريق قف هادئاً ريثما يأتيك امري فاني انا الكشافة الرب الحضرة الالهية لا افارقك في كل حال » وهاكها منظومةً :

ارفع بُنيَّ الى ربِّ العلا البصرا	وشدَّ أزرك بي كي تبلغَ الوطرا
قف هادئاً ريثما يأتيك من لدني	امرٌ انا رئبك الكشافُ سرُّ الورا
ابسطْ يمينك تستكشفْ طريق هدى	تسير فيها فلا تعثر بمَنْ عثرا
اني رفيقك أهديك السبيل فلا	تخشَ المعاطب يوماً وأمن الخطرا

فمبدأ الكشافة اذن لازم للديانة غير منفكٍّ عنها بل هو من دونها كجسم بلا روح او طير بلا جناح او شجرة بلا ثمر فلا فائدة منهُ تُرجى . وقد فقه ضرورة هذا الامر واهميَّتهُ جميع منشئي خطة الكشافة الحكماء فجعلوه حجر الزاوية في بنايتهم . هذه السنة . والاختبارُ الوضعي الشاهد بهِ مليونان من اعضاء الكشافة المنبثين في انحاء المعمور يعلم ان الكشافة المؤمنة تجد في ايمانها قوَّة وعضداً ادبيا يثبتها في مقاصدها الكبيرة ويذلل لديها وعورة مسالك هذه الحياة فيفوق اعضاؤها غيرهم جرأةً واخلاصاً في عمل البرِّ والصلاح . وهذا تعليلهُ ظاهر فان من ميزات الكشافة كما قلنا التفاني والاخلاص في الخدمة وهذا لا يتمُّ لها ولا يثبت بغير الدين . لان روح التفاني المفهوم بهِ الكفران بالذات وتضحية النفع الخاص على مذبح الخير العام يستوجب قوة ارادة عظيمة لا أحسن لها من الدين الذي يسمو بالانسان فوق هذا العالم المادي وينعش فيهِ الحياة الروحية المستمدَّة من تعليم يسوع المسيح رب التفاني ومنقذ البشرية فينصرف العامل الى العمل لغاية سامية منزهة عن المطالب البشرية البحتة ومرماهُ الخير العامّ لا الخاصّ . وبهذا يقوم التفاني الحقيقي وحبّ الوطن كما

ظهر للملأ في القرّاد العظام والجنود البواسل المتدينين الـذين خاضوا معامع الحرب الكونيّة دفاعاً عن وطنهم وأبلوا فيها البلاء الحسن وتفوّقوا بجرأتهم وتفانيهم على من سواهم وذهبت لهم شهرة عظيمة بين جميع الشعوب

ولهذا ترى جميع زعماء الكشافة الحكماء في اعظم الدول قد استندوا على تلك الدعامة المتينة لئلا يبنوا على اساس واهٍ. فان الجنرال الانكليزي بادين پويل المشار اليه اجتمع يوماً على اثر الهدنة في ٢١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ في حفلة حافلة بالكشافة الافرنسية في قاعتها ولمّا نظر الى الاب كورنيت الذي عرفناهُ عمدةً في الكشافة الافرنسية قال لهُ : « اني شاكر لك يا حضرة الاب على حضورك هنا فانك تمثل لنا المبدأ الديني الذي اردتُ ان اجعلهُ اساساً لعملي »

وربّ معترض يقول : « ان الكشافة تسلك بحسب ناموس الضمير والشرف فكفى بهما زادعَيْن عن كلّ مخالفة للقانون ووعْدُ الحرّ دَيْنٌ. فنجيب ان الضمير والشرف زادعان قويّان عن الشرّ فالضمير لهُ لواذعُهُ يُنْخَس بهما عند كل زلة. والشرف له قيمتُهُ ومنزلته يربأ بصاحبه عن الدنايا غير ان الاول وهو فعلٌ باطني وقاعدة قريبة للافعال البشرية لا يمكنهُ ان يستقلّ عن المشترع الاسمى الذي هو الله فـلا يكون مستقيماً صالحاً لقاعدة الاداب والمعاملات الّا اذا كان مرتشداً بنور الايمان بالهٍ عادل يفحص القلوب ويجازي كلًّا بحسب اعمالهِ

أما الشرف مع تقديرنا شاعرته التي قلّ مَن حفظها سليمةً كما هي فانهُ مهما كان مبلغ تأثيرهِ لا يتجاوز حدّ اعتبار الناس الخارجي فيستند في الغالب على آرائهم العالميّة المتشعبة ويعتمدها في احكامهِ ومسائلهِ فلا يسلم بها من الاذى وكثيراً ما يُغضي الطرف عن اشياء مَلومة ويجيز اعمالًا مرذولة في نظر الضمير فيمتنع احياناً مما كان محمودًا كريماً في عين العقل والدين اذ يتقيّد باعتبارات وعادات بشرية لا خير فيها. واذا تجرّدت شاعرة الشرف من الدين انكسف سناؤها واضمحلّت شيناً فشيناً. ولذلك نقول ان الشرف والضمير ينزل عن الايمان لا يخرجان عن حيز الطبيعة ولا يزالان متنازعَيْن بعوامل الاميال والاغراض تتسلقها في كل آن اللذة والشهوة وتجذبهما المنفعة الذاتية وتميل بهما مع كل ريح فيظلان قاصرَيْن عن ان يُثبتا الارادة الحرة في عمل الخير

فلا بد اذن لرأب هذا الصدع وملازمة السير في النهج القويم من قوة فوق الطبيعة تتغلب على ما فيها من النزعات المنحرفة وتقوّم اعوجاجها اذا ارادت شذوذًا وما هذه القوة سوى الايمان بربّ يُثيب الفضيلة ويعاقب الرذيلة . فالضمير الصالح والشرف الحقيقي قائمان بالدين ولهذا قيل : الشرف من الدين ومَن لا دين له لا شرف ولا ضمير له . ولاجل هذا السبب سارت الكشافة الصالحة على قاعدتي الشرف والضمير مرتبطتين بالديانة الحقّة

الكشافة الكاثوليكية

ولمّا كانت الكشافة بمبادئها القويمة مطابقة لروح المسيح والكنيسة او هي كما تقدّم الكلام فكرةٌ ناشئة من الديانة المسيحية وزهرة جميلة نابتة بين ازهار حقل الكنيسة الكاثوليكية في الاعصر الوسطى حَرَثها فرسانُ اشدّاء وسقوها دماء جهادهم وغذوها روح بسالتهم وتفانيهم لهذا السبب هبّ اليوم الوف من الفتيان والشبان الكاثوليك في جميع الاقطار لاحياء تلك الفكرة وإنماش هاتيك الزهرة وهم اولى لهذه المهمة من سواهم . وقد ابت شجاعتهم وهمّتهم ان يوقفهم في هذا السبيل عائق او يسبقهم في هذا الفخار سابق . فتألفت منهم الكشافة فتية نضرة متحدة القلب سبّاقة الى عمل الخير وراندهم الدين والآداب ومحبة الوطن ووقفت سدًّا منيعاً بوجه تيّار الكفر لمناهضة كل مكابر لا يرعى لشرائع الله حرمةً ولا يريد ان يتقيد بغير ناموس الحرية الكاذبة

فالكنيسة الكاثوليكية تُسَرّ اي سرور اذ ترى نخبةً من ابنائها الفتيان الاشداء الازكياء ينضمّون تحت لواء الكشافة الكاثوليكية في كل صقع وبلد ليمثّلوا لمواطنهم دور الفداة والمحبة الحقيقية لربهم ولوطنهم . ذلك الشيء ما تتمناهُ الكنيسة ويرضاهُ الجالس بالفخر على سدتها البطرسية رأسها المنظور بيوس الحادي عشر وهذا اجلّ ما يتعزّى به قلبهُ الابوي في وسط شدائد هذه الايام ومراثرها

اجل ان قداستهُ ينظر بتمام الارتياح الى جماعات الكشافة تتألف في العواصم والمدن معتزلة كل سياسة مرتبطة بربط المحبة والاخاء زاهية زاهرة كما هي في انكلترا تحت رعاية الكردينال يورن رئيس اساقفة وستمنستر . وفي ايطالية حيث اصبح

الكاثوليك من اصحاب النفوذ والسطوة قامت كشافتهم منظمة الصفوف سالكة بروح الانجيل على مبادئ الشرف والضمير لا تهاب الموت في الدفاع عن حياض الكنيسة والوطن ولا تكل عزيمتها في عمل الخير وخدمة الله والقريب. وكانت مثل هذه الكشافة في المانية

امّا في فرنسة التي لا تزال تذكر كونها ابنة الكنيسة فان الكشافة الكاثوليكية قد تألفت عصبةٌ واحدة من عدة جماعات خيرية وعُرفت بتحالف الشركات الكاثوليكية وذلك بسعي القانوني الاب كورنيت يدير شؤونها رجال من الفئتين الاكليريكية والعالمية ممن اشتهروا بفضلهم وسعة معارفهم وهم من مؤسسي الجمعيات الخيرية او اعضاء الاكاديمية او من الاميرالية والجنرالية منهم الجنرال مودهوي (Gal Maud'huy) عمدة المؤسسين وقد اثبت قداسة البابا بيوس الحادي عشر جماعتهم وباركها

فالكشافة الكاثوليكية وان تكن حديثة العهد بهيئتها الحاضرة فانها قديمة الايام في اصلها وتاريخها. وقد انتشرت اليوم انتشاراً سريعاً ولها الفوز على ما سواها بما فيها من ميزات في ادارتها وروحها تجديها فضلاً وثباتاً. فانها لا تكتفي بان تراعي شريعة الضمير والشرف بل تعتصم بالله ولا تحيد قيد شعرة عن وصاياه وتقوم بجميع واجباتها الدينية وهي تقيد بوصايا شرف تسع ما عدا الوصايا العشر التي مرّ ذكرها ما يجعلها اشبه بجماعة رهبانية منها بعالمية. وهذا ما توصي به كل عضو من اعضائها:

١ لا تهمل الصلاة يوماً من الايام
٢ اسمع القداس مصلياً يوم الاحد اينما كنت وايّاً كنت
٣ اياك والكذب كن صادقاً مخلصاً في اعمالك واقوالك وتعلّم ان تكون موثوقاً عنها
٤ لا يحملنّك الخجل على اخفاء ما انت عليه بل كن فخوراً به
٥ أطع لتتعلّم الخدمة فان لا يطيع الّا نفسهُ لا يخدم غير نفسه وهو سواء والعدم
٦ اشتغل كجندي امين للمسيح والكنيسة وللوطن ويجب ان تكون مستعدًا لما يسألك اياه يوماً هؤلاء الثلاثة اي المسيح والكنيسة والوطن
٧ كن في كلامك اديباً مهذباً وتنزه عن ان تكون رافثاً في ما ليس بتقي طاهر
٨ كن حكيماً وامينًا ثابتاً في عهودك وولائك وتعلّم ان تحفظ سرًّا
٩ إنَّ شرف المسيحي ان يعطي ويخدم اسوةً بربه فكن انت صالحًا كريمًا خدوماً للجميع ولاسيما للفقراء

ولاجل حفظ هذه الوصايا فُرضت على كل من قبلها قراءةٌ روحية كل يوم

وزيارة القربان المقدس والصلاة الى العذراء مريم والتقرُّب من الاسرار في كل شهر وتعلّم امور الديانة والدفاع عنها لدى الاقتضاء. وان يكون الفتى المنخرط في سلك الكشافة قدوة لغيره في عيلته ومدرسته وبين اقرانه وان يرغب في ما هو شاقّ صعب وان يكون شجاعاً حزوماً وان يتألم من دون شكوى

فعلى هذا الدستور الأدبي يسير اولئك الشبان وبه يكونون رجال جدّ ونشاط لا ينقادون بالدافع الخارجي فقط كالمعاقبة والترتيب بل بدافع داخلي هو دافع الدين والضمير والشرف وما هنالك من الروح العائلي يولّد في كل منهم الاهتمام بشرف الجماعة والمحافظة على سمعتها والسعي في اعطاء المثل الصالح والمنافسة في عمل الخير لتبقى الارادة عاملة ثابتة في طلب الخير الاعظم

ومتى بلغ الشاب في الكشافة الكاثوليكية هذا المبلغ من تهذيب الارادة وتكميلها يقدم على حلف اليمين في حفلة حافلة بعد ان يستعدّ لهُ بالاختلاء مدّة اربع وعشرين ساعة وهذه صورته :

« اني انا الواضع يدي على الراية وعلى ضميري بحضرة رفقائي ورؤسائي ومرشدي اعاهد مقتدراً استطاعتي انا اتبع المسيحي ان اخضع لرؤسائي ونظام جماعتي قدوة الشبيبة وأن احفظ وصايا الشرف وبالاخص ألّا اكذب ابداً وان اكون خدوماً لقريبي شفوقاً على البائسين واجتهد ان اغور في حب الخير حتى احقق في حياتي شعار القدوة المسيحية « المسيح والوطن » . فليبارك الله والكنيسة أمي قصدي هذا ويساعداني على ان اكون برّاً به »

فعلى الطاعة والعمل والنزاهة والصدق والخدمة ومحبة الله والوطن يرتكز اساس الكشافة الكاثوليكية فما اشرف مبادئها واعظم شأنها

منافعها

في تأليف الكشّافة من المنافع ما لا يُنكر فانَّ فيها روح الألفة وما أحوَجَنا اليها ! روح النشاط والعمل ونحن نكاد نفقدهُ بعد ويلات الحرب الكونية اذ فقدنا اليد العاملة بالموت والهاجرة ووقوف الحركة ! روح الكشافة الاقتصاد ونحن لا نعرف منهُ الّا الاسم فقط فاكثر اغنيائنا محتكرون مبذرون والمحترفون فينا وهم يكادون يحصلون كفاف يومهم يجعلون مصاريفهم فوق طاقتهم متشبهين باصحاب اليسار والثروة. الكشافة توجب القناعة اذ لا يهيج قانونها بان يصرف المرء فيها اكثر من

نصف مدخوله اليومي وان يحتفظ بالباقي لخير نفسه وتربيته . ومن لوازمها التدين الصحيح والآداب السليمة فيكون لا اوفق ولا ألزم منها لبلاد هي مهبط الوحي ومسكن الانبيا عاش فيها الاسلاف متمسكين بالدين وصون حرمة الاداب . والتاريخ اصدق دليل . ومن روح الكشافة التفاني في سبيل الخير وحب الوطن وهذا ما زال عندنا اسماً بلا مسمًّى ولو لم يكن في الكشافة سوى روح التفاني والفداء الذي هو روح المسيح والكنيسة لكفاها ذلك فخرًا فضلًا عن انها بما فيها من روح الالفة والاتحاد تكون صلة متينة بين بلد وبلدٍ ودولةٍ واخرى . وبجيادها عن كل سياسة تزيد توثيق عرى المحبة والولاء بين الافراد والجماعات على اختلاف الجنسية والمشارب

فالكشافة بتذرُّعها بتينك الوسيلتين الضامنتين لها حسن المستقبل والثبات في العمل اي الرياضة البدنيَّة والرياضة النفسيَّة تحفظ اعضاءها شبَّاناً وفتياناً من التعرُّض لاسباب الامراض المضرَّة بالنفس والجسد . وما اكثر الشبان تعرّضاً لمثل تلك الامراض التي ينتشر مكروبها وخصوصاً في هذه الايام في المسارح والملاهي الخلاعية والالعاب المحرَّمة . وانها بما فيها من القوانين الصحية والتعاليم الاخلاقية تقي الشبيبة من تلك الخواطر وترشد خطواتها في الطريق السويّ لئلا تقع في فخاخ المعاثر . والتي الشابّ الرياضتين المشار اليهما ندحةٌ عمَّا سواهما وبهما تحصل له الفائدتان اللازمتان للحياة اي صحَّة الجسد ونضارتهُ وسلامة النفس وطهارتها . فكم تقرُّ العين اذ ترى اولئك الفتيان وقد ضربوا خيامهم البيضاء في منبسط الصحراء وانتظمت اسرابهم صفوفاً تحاكي اسراب الحمام بما فيهم من جريٍ سريع ومنظر بديع وقلب وديع ووجه يطفح بِشرًا وحبورًا وجسم امتلأ حياةً وقوة تأسر بشائق تمارينها النظر وتخلب بوائق العابها الفكر فتتضارع الاشبال جرأةً والطيور سرعةً والازهار طهارةً وجمالًا والمتوحدين لله عبادةً وكمالًا

أكرِمْ وأجِلَّ بالكشافة الكاثوليكية التي تقرن تلك الرياضة الخارجية بترويض اخلاقها وقيامها بواجباتها الدينية في كل اين وآن . فاذا ارخى الليل سدولهُ وسكنت الطبيعة قامت تلك الكشافة تناجي الله ربَّها من وراء النجوم الزواهر وتمجّده بما فيها من ايمان حي وضمير مطمئن ونفس راتعة بسلام الله . وتنهض عند بزوغ الفجر وقد ذرّت نجمة الصبح فوق الجبال لتحيّي نجمة الاكوان وتضرع اليها وتناديها . وقبل ان

تحلّ الكشافة أطنابها ترفع صوتها الى الله قائلة: «تنازل اللهم واحفظنا اليوم اجمعين في حال النعمة وقيض لكل منا نحن كشافتك ألّا نصرف يومنا الّا بخدمة ونفع قريبنا لاجل محبتك». او تتلو هذه صلاة القديس اغناطيوس: «يا قلب يسوع علّمني ان اكون كريماً سخيّاً وان اخدمك كما تريد وان أعطي بلا حساب وأن أحارب لاجلك ولا اهاب العمل غير مبالٍ بالراحة وان اتفانى ولا انتظر من وراء عملي ثواباً غير ارادتك القدوسة»

وهذه صلاة قائد الكشّافة اذا حلّت بقعةً من الارض فقبل ان تضرب الخيام يصلّيها قائلًا:

«يا ربنا وقائدنا يسوع المسيح يا من اخترتني رغم ضعفي زعيماً ووكيلًا لاخواني الكشّافة هبْ لي ان ارشدهم في طريق شريعتك وعلّمني ان ابيّن لهم آثارك الالهية في الطبيعة التي خلقتها وان اعلّمهم ما توجب عليّ وان اقود جماعتي هذه من مرحلة الى مرحلة حتى نبلغ اليك يا الهي في ظلال الراحة والفرح حيث نصبتَ خباءك وخباءنا الى الابد امين»

وكم يلذُّ لك ان ترى زمر اولئك الصبيان قائمين للصلاة قرب خيامهم وهم يترنّمون بالاناشيد الوطنيّة والتسابيح لربّ السماء. وأكرم بالفتى الكشّافة الكاثوليكي يذكر على سريره قبل رقاده ثلاثة مبادئ جاهر ان يتقيد بها وهي:

١ً ان يكون متباهياً بايمانه وأطوعَ لهُ من بنانه ما زال في قيد الحياة
٢ً ان يكون ابنًا لبلاده ووطنيًّا صالحًا
٣ً ان يقوم بواجباته وهو في بيته

وهذه المبادئ تجعلهُ ان يفكر دائمًا وان يحقق بالفعل ما عليه لعيلته وبلاده وقبل كل شيء لدينه فيكون ولدًا صالحًا ووطنيًّا وكاثوليكيًّا صادقًا لان هذه ارادة الله فيه ولانهُ اذا لم يَقُم بواجباته هذه حُرم الحقّ بان يعتبر نفسهُ عضوًا لائقًا بالكشافة. وأحرِ به ان يذكر وصايا والدته التقية التي علمته منذ الصغر واجباته نحو ربّه ونفسه وقريبه بل أحرِ بالام اللبنانية اليوم ان تعلّم ابنها الصدق والشجاعة وتوصيه بما كانت احدى الامهات الفاضلات توصي ابنها قائلة:

«اني اوصيك يا بني بثلاثة اشياء: الاول وقبل كل شيء ان تحبَّ الله وتعبده وتخشاه ولا تُخنهُ ابدًا لانانيتهُ وُجدنا وفيهِ نحيا ونخاص ومن دون نعمته لا نستطيع عملًا صالحًا في هذا العالم. الثاني ان تكون انيسًا وديعًا لكل انيس لطيف اذ تترع منك كل كبرياء. كن متواضعًا ولا تكن غبيًّا ولا كذابًا وكن قنوعًا. واياك والحسد الموت والمداهنة وثقل الكلام واذا قلتَ

فافعل. ووصيتي الثالثة ان تحسن الى الارامل والايتام وان تتصدّق على الفقراء لاجل وجه الله الكريم هذه وصاياي فاحفظها تكن رجلاً عظيماً رضيّاً الله ربك ومفيداً لنفسك ولوطنك»

فتى كثُرما بيننا عدد امثال هاته الامهات واولئك الشبان الراقين ديناً وعلماً وادباً فُزنا بما نبتغيه من الرقي الحقيقي والكشافة الكاثوليكية تضمن لنا ذلك وتسهّله وبغير مبادئها لا يمكن او يصعب بلوغ هذه الامنية فكما انهُ لا امل بان نجني من العوسج تيناً ولا من الشوك عنباً كذلك لا يكون رقي صحيح من كشافة او شبيبة لا دين ولا آداب لها . على ان الرقي والتمدن الحقيقي مضمونان بوضع مبادئ الكشافة الكاثوليكية بالعمل فهي والحق يقال ليست شاملة فقط جماعتها بل جميع طبقات الناس اذ يمكننا ان نسمي الكاهن كشافةً بغيرته وتفانيه والحاكم كشافةً بنزاهته وعدله ومثلهم التاجر باستقامته وقناعته والعامل بنشاطه وجدّه واقتصاده والوالدون بقيامهم بمهام العيلة وتربية البنين والابناء بما عليهم من طاعة ومحبة واحترام لوالديهم . فمتى ساد العدل والنزاهة والمحبة والعمل والاقتصاد وبالجملة متى سرنا بحسب تعليم الانجيل اسّ التمدن والعمران كنا في مستوى ارقى الامم واكثرها حضارةً ونهضت البلاد من كبوتها وانسدّت ابواب المهاجرة وانقطع سيلها الجارف .

فالى الشبيبة العزيزة الناهضة نسوق هذا الكلام مذكرينها — ان كانت من الكشافة — ان ترعى قوانينها وتحفظها بما فيها من حميّة وطنية وروح دينية ملازمةً حدود الفطنة والاعتدال في كلّ شيء وألّا تلهو بالقشور عن اللب . وان كانت ممن لم ينخرطوا بعدُ في سلك الكشافة نرغب اليها هذه الخطّة الشريفة والمفيدة ونحثّها على التمسك بمبادئها القويمة اذ تعرض عن كل ما هو منافٍ للدين والاداب وتحذر شرّ المجتمعات الفاسدة والمفسدة التي تقتل روح الوطنية الحقة وتطفئ مصباح الايمان من العقل وتقعد بالارادة عن عمل البرّ والصلاح

كنتُ الصيف الماضي في احد ديارنا لمهمّةٍ رهبانيّة فوافق ان وجدتُ هناك فئة من الكشافة التي يدير شؤونها بعض آباء الرهبانيّة الانطونيّة وما اشدّ ما كان فرحي وابتهاجي لمّا رأيت اولئك الفتيان يأتون من التمارين والالعاب الشائقة ما هو اولى بجنود منظّمة فكان يبرز من صفوفهم فتى هو اصغرهم سناً فيتولّى قيادتهم وتعليمهم . ومما زادني سروراً اني كنت اقرأ على جباههم الوضّاحة آيات المحبة والاخاء وعنوان

الطهارة والنقاء . وما اجمل ما كانت صفوفهم وقد قاموا في الكنيسة لسماع القداس وللصلاة يوم عيد انتقال السيدة عليها السلام وقد حمل كل منهم عدّة سفره بعد ان ملأ قلبه من محبة الله وقربه . ولمّا رأيتهم يتقدّمون من مائدة الخلاص قلت في نفسي : عسى ان تثبت هذه الاغصان في الكرمة فتستمدّ من مائها روح التفاني والاقدام والشجاعة فتثمر اثمار الصلاح المرغوبة . وعساك يا لبنان المسكين تقوم بها من كبوتك وتنهض بشبيتك وترى من ابنائك مَن يعيدون لك سالف مجدك وعزّك ! اذ يرتشفون مناهل العلم صافيةً من كدر الكفر والفساد ويكون لهم من متين عقيدتهم وسلامة ادابهم عدّةٌ يخوضون بها معامع هذه الحياة ليخرجوا منها ظافرين بمعونة الله الذي اليه المآل ومنهُ تحقيق الآمال ما أضيقَ العيش لولا فسحةُ الامل

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٤ اعشى بني تغلب

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ يُطلق اسم الأعشى على نحوٍ من عشرين شاعراً كما ترى في المزهر للسيوطيّ (٢ : ٢٢٩ — ٢٣٠) وفي شرح شواهد المغني لهُ (ص ٨٦) وفي تاج العروس (١٠ : ٢٤٣ — ٢٤٤) . وقد كثر التخليط في تعريف اسمائهم وكُناهم وقبائلهم . وربَّما اكتفى الادباء باسم الاعشى دون زيادةٍ في التعريف . وانما اشهرهم الاعشى المعروف بالاعشى الاكبر وهو ابو بصير الميمون بن قيس وهو جاهليّ . واسم الاعشى لقبٌ يُطلق على الذي البصر من العشاء وهي ظلمة تعترض العين فلا تبصر ليلاً

واعشى بني تغلب قد اختلفوا في اسمه . جاء في الاغاني (١٠ : ٩٨) : « قال ابو عمرو الشيباني اسمهُ ربيعة . وقال ابن حبيب : اسمهُ النعمان بن يحيى » . وفي الحماسة البصريّة (١ : ٨٧) « هو ربيعة بن نجران » وفي محلّ آخر « هو نعمان بن نجران التغلبيّ